الفصل الخامس
المقنعية

أولاً- التعريف بها:

سبق أن ذكرنا أن خراسان بكل كورها انقلبت بعد مقتل أبى مسلم الخراسانى إلى بركان هائج يلقى بالحمم والنار فى وجه العباسيين ، وأن على أثر مقتله خرج ثوار كثيرون فى مناطق مختلفة بأفكار هدامة كلها ضلالات وانحرافات ترمى إلى إعادة المجد الفارسى القديم .

وتعد حركة المقنع الخراسانى واحدة من الحركات الفارسية الهدامة للموالى والتى قامت بدورَ كبير على إحياء مجد الفرس والنيل من الإسلام وقيمه الروحية .

كان المُقَنَّع (بضم الميم وفتح القاف وفتح النون مع التشديد) رجلاً من أهل مرو من قرية يُقال لها (كازه)(١) وكان يسمى هاشم بن حكيم(٢) .

عرف المقنع فى شبابه بذكائه الفائق وذاع عنه إطلاعه على معارف الأسرار (السحر)(٣) .

وقد اشتغل بتحصيل العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها فتعلم الشعبذة وعلم النيرنجات والطلسمات ومازال يتعلم هذه العلوم حتى أتقنها وحذقها(٤) .

كان أبوه قائداً من قواد أبى جعفر الدوانقى البلخى ثم شغل المقنع هذا المنصب نفسه أول الأمر عند أبى مسلم(٥) .

---

(١) قرية من قرى مرو - ياقوت الحموي - معجم البلدان ٤/ ٤٣٠ .

(٢) نجد اختلافاً واضحاً في اسم هذا الثائر داخل المصادر ، فابن خلدون يسميه حكيماً وهاشميا - نسبة إلى هاشم الذي تحول الله إلى صورته بعد ءبي مسلم الخراساني حسب زعمه . بينما يسميه النرشخي باسم هاشم بن حكيم . أما الطبري فيدعوه حكيم المقنع .

(٣) أرمينيوس فامبري - تاريخ نجاري ص ٨٠ .

(٤) النرشخي - تاريخ نجاري ص ٩٤ .

(٥) فامبري - تاريخ نجاري ص ٨٠ ، والنرشخي - تاريخ نجاري ص ٩٤ .

ويذكر النرشخى[١] أن المقنع هذا كان قائداً من قواد خراسان أيام أبى مسلم الخراسانى ثم صار وزيراً لعبد الجبار الأزدى[٢] .

وقد سمى بالمقنع لأنه كان يغطى رأسه ووجهه بقناع من ذهب لأن وجهه كان فى غاية القبح والدمامة إذ كان رأسه أصلع واحدى عينيه عوراء ، قصير القامة إلى حد أن العين عندما تراه لا تهابه[٣] ، وقيل أن قناعه كان عبارة عن حرير أخضر كان مدلاً على وجهه لعوره[٤] .

ثانياً ـ الظهور والنشأة :

ظهر المقنع على الساحة أيام أبى مسلم الخراسانى ، وكان من أتباعه المخلصين ، وترقى فى المناصب حتى أصبح أحد الرؤساء فى الجيش ولكنه كان مازال خامل الذكر قليل الشأن لم يفضح عن دعوته وإنما الثابت أنه قال بصفات النبوة عنده فى عهد أبى مسلم ولم يزد عليها لأنه كان يعلم تمام العلم مكانة أبى مسلم وشخصيته الفذة بحيث أنه لم يطيق أى سلطان بجانب سلطانه ، ومن ثم ركن المقنع طوال هذه الفترة إلى الهدوء والانزواء[٥] .

فلما مات أبو مسلم وولى مكانه عبد الجبار الأزدى ولاية خراسان استمر فى خدمته حتى جهر بدعوته وحرض على الثورة ضد السلطة العباسية وأعلن التمرد والعصيان وشق عصا الطاعة وادعى النبوة ولجأ إلى الشعوذة وألاعيب المكر والخداع[٦] .

---

(١) تاريخ نجاري ص٩٣ .

(٢) عبد الجبار الأزدي ـ ...

(٣) ابن خلدون ـ العبر ٣/ ٢٠٦ ، وابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٥/ ١٠١ ، والنرشخي ـ تاريخ بجاري ص٩٣ ، وفامبري ـ تاريخ نجاري ص٨١ .

(٤) البيروني ـ الآثار الباقية من القرون الخالية ص٢١١ ، والبغدادي ـ الفرق بين الفرق ص٥٥ ، ولم طباطبا ـ الفخري ص١٨٠ .

(٥) فامبري ـ تاريخ نجاري ص٨١ .

(٦) النرشخي ـ تاريخ نجاري ص٩٥ .

ولما ظهر أمره وفاحت رائحته وأصبح يشكل خطراً على الولاة فى خراسان أرسل إليه أبو جعفر الدوانقى شخصاً ليقبض عليه وحمله من مرو إلى بغداد بعد أن أحكم وثاقه فسجنه أبو جعفر مدة لا تعرف على وجه اليقين ولكنها تعد بالسنوات(١) .

ويصرح المستشرق فامبرى بعدم معرفة هذه المدة إذ لا نعرف الوقت الذى قضاه هناك على وجه التحديد وكل ما نعلمه أنه رجع من هناك فجمع الناس حوله(٢) .

ولما أطلق سراحه وعاد إلى مرو جهر بمبادئه وأعلن مذهبه وادَّعى الألوهية وجمع الناس حوله وبدأ يسألهم عن نفسه كأنه يريد أن يخبرهم بأمر جلل حدث له فأجابوه أنه هاشم بن حكيم فقال لهم أخطأتم وأخبرهم أنه الههم وإله العالمين وأنه يدعو نفسه بما يشاء من الأسماء ، وقال لهم : أنا الذى أظهرت نفسى للخلق فى صورة آدم ثم فى صورة إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ثم تحول فى صورة علىّ بن أبى طالب ﷺ ثم انتقل فى صورة أولاده ثم حصل فى صورة أبى مسلم ثم هو اليوم على الصورة التى يرونها حيث يزعم أنها انتقلت إليه وقال إنى انتقل فى الصور لأن عبادى لا يطيقون رؤيتى فى صورتى التى أنا عليها ، ومن رآنى احترق بنورى(٣) .

وحين سألوه كيف بلغ الذين سبقوه درجة النبوة فقط فى حين بلغ هو درجة الربوبية ؟ فأجابهم بأن هؤلاء جميعاً مجرد متجسدين .. فى حين أنه روحانى وله القدرة على إظهار نفسه بأى صورة يراها(٤) .

ثالثاً. انتشار حركة المقنع :

اشتدت حركة المقنع الهدامة التى تهدف إلى محاربة الإسلام وترمى إلى تقويض أركانه ثم العودة إلى العقائد المجوسية القديمة التى كان عليها الفرس وبلغت هذه الحركة مداها فى عهد الخليفة المهدى (١٥٨ ـ ١٦٩

---

(١) المصدر السابق .

(٢) فامبري ـ تاريخ نجاري ص٨١ .

(٣) النرشخي ـ تاريخ نجاري ص٩٥ ، والبيروني ـ الآثار الباقية من القرون الخالية ص٢١١ .

(٤) النرشخي ـ تاريخ نجاري ص٩٦ ـ ، وفامبري ـ تاريخ نجاري ص٨٢ .

هـ / ٧٧٥ - ٧٨٥ م) الذى راجت فى عهده الأراجيف الدينية وقامت فيه الفتن والاضطرابات بسبب حركات الموالى الفرس الذين نجحوا فى الوصول إلى مقاليد الحكم خلال العصر العباسى الأول ، وتقلدوا فيه المناصب الكبرى فكان هذا باعثاً قوياً على تحريك عامل الشعور بالقومية الفارسية داخلهم فأحسوا بأهميتهم ومنزلتهم عند العباسيين ولاحت أمامهم بوارق الأمل فى بعث دينهم القديم .

جد المقنع فى دعوته ونشر ضلالاته ليضل الناس بغير علم فاجتمع حوله أناس كثيرون من أهل مرو ، ومن هناك أرسل دعاته إلى تركستان[١] والنواحى المجاورة لها يدعون الناس إلى الدخول فى ملته ومناصرة دعوته وكتب كتباً إلى هذه الولايات وأعطاها لدعاته جاء فيها « بسم الله الرحمن الرحيم .. من هاشم بن حكيم سيد السادات[٢] وملك الملوك[٣] إلى فلان ابن فلان .. الحمد لله الذى لا إله إلا هو إله آدم ونوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد وأبى مسلم ، ثم أن للمقنع القدرة والسلطان والعزة والبرهان فبادروا إلىّ وآمنوا بى واتبعونى واعلموا أن المُلك لى ولى العزة والربوبية ولا إله غيرى (ترب فوه) وكل من تبعنى له الجنة وكل من عصانى له النار »[٤] .

وأرسل بهذه الكتب مع دعاته إلى كل مكان فأضل كثيراً من الناس ولاسيما ضعاف العقول والبله والمغمورين من العامة وانساقوا وراء دعوته المضللة بدافع الحمية والعصبية للقومية الفارسية التى طالما نادت بتفوق العنصر الفرسى على العرب وجهرت بالعداء له .

ويشير أحد المستشرقين إلى أثر هذه الدعوة على العالم الإسلامى بقوله : (وكان من أثر فورة التشيع العدائية التى عمت العالم الإسلامى فى ذلك الوقت وما صاحبها بخاصة من اضطرابات بسبب تغيير الخلافة القائمة أن شجع ذلك كله إلى حد كبير الطبقات الدنيا بتركستان على الارتداد عن

---

(١) تركستان - اسم جامع لجميع بلاد الترك (ياقوت - معجم البلدان ٢/ ٢٢) .

(٢) النرشخي - تاريخ بخاري ص٩٥ .

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة .

(٤) المصدر السابق ص٨١ .

الإسلام لتقبل جموعهم من بعد ذلك على اعتناق دعوة المقنع ، وكانت نفوسهم ما تزال بها رواسب قوية عن عقيدة المجوس القديمة)[١] .

يذكر البغدادى[٢] أن كثيراً من أهل جبل إيلاق وقوم من الصغد قد اغتروا وهزموا عساكر كثيرة من عساكر المسلمين فى أيام المهدى بن المنصور » .

ويبدو واضحاً أن دعوة المقنع الخراسانى قد راجت وانتشرت إلى حد كبير حتى أن بعض العرب قد تشيع له وارتد عن الإسلام فيذكر أن رجلاً من العرب اسمه (عبد الله بن عمرو) اتبعه بل وزوجه ابنته وصار من أنصاره ودعاته فعبر عبد الله هذا جيحون[٣] وجاء إلى نخشب[٤] وكش ، وكان يدعو الخلق فى كل مكان إلى دين المقنع (عليه اللعنة) وأضل كثيراً من الناس وكان أكثرهم من كش ورستاق كش حتى أن أول قرية دخلت دين المقنع وأظهرت دينه المزعوم قرية فى كش اسمها (سوبخ) ، وكان كبيرهم عمرو السوبخى فخرجوا وقتلوا أميرهم وكان رجلاً ورعاً من العرب[٥] .

كما دخلت أغلب قرى السعد أو الصغد الممتدة من جيحون إلى سيحون فى دين المقنع وكفر (نعوذ بالله العظيم من هذا الضلال) كثير من قرى بخارى[٦] وأعلنوا الكفر .

وفشى خبر المقنع بخراسان وفاحت رائحته الكريهة فأمر حميد بن قحطبة أمير خراسان بالقبض عليه ففر هارباً إلى بلاد ما وراء النهر فى وسط آسيا حيث اتخذ من نجارى مركزاً له وهى من أكبر المدن فى البلاد العريضة

---

(١) الفرق بين الفرق ص٥٦ .

(٢) الصغد ـ هى قرى عامرة قصبتها سمرقند وهى من أطيب أرض الله كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار (ياقوت ـ معجم البلدان ٣/ ٤٨) .

(٣) جيحون ـ هو اسم وادي خراسان على وسط مدينة يقال لها جيهان ، فقالوا جيحون على عادتهم في قلب الألفاظ (ياقوت ـ معجم البلدان ٢/ ١٩٦) .

(٤) نخشب ـ أحد مدن ما وراء النهر بين جيحون وسمرقند بينها وبين سمرقند ثلاثة مراحل . (ياقوت ـ معجم البلدان ٥/ ٢٧٦) .

(٥) النرشخي ـ تاريخ نجاري ص٩٦ ، وفامبري ـ تاريخ نجاري ص٨٢ .

(٦) بخاري ـ من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها ، وكانت قاعدة ملك السامانية كثيرة البساتين واسعة الفواكه وينسب إليها جمع من العلماء منهم إمام أهل الحديث أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري (ياقوت ـ معجم البلدان ١/ ٣٥٥) .

المسماه السعد أو الصغد ، حيث دعته قرى كثيرة ليأوى إليها وبرغم ماكان من تشديد الحراسة بمواضع عدة من نهر السند حين عرف الوالى من عزم المقنع على الهرب إلا أنه تمكن المقنع آخر الأمر من عبور الماء بسلام فى ستة وثلاثين من أتباعه إلى ولاية كش ومكث بها هناك(١) .

ويعزى بعض الباحثين(٢) انتقال المقنع بدعوته إلى هذه النواحى إلى أن أهلها كانوا يتكونون من خليط من الشعوب الآسيوية وبخاصة الفرس والترك والهياطلة والمغول حيث كان كثير من الفرس لا يزالون على ديانة المجوس السابقة بملاحظة البيرونى(٣) .

أما الترك الكفار فقد انتشرت بينهم المجوسية والمنانية ، إذ وجدت عندهم عبارة النار كما وجدت عندهم عبارة الكواكب وحتى عبادات هندية وغيرها ، أما الهياطلة المغول فقد بقوا وقتاً طويلاً وثنيين .

وهناك التف حوله جمع غفير من المريدين والمؤيدين لهذه الشعوذة الكاذبة والضلال المبين ، وقد أشار البيرونى إلى هذه الجموع بقوله (وعبر نهر جيحون إلى نواحى كش ونسف وكاتب خاقان واستنجده واجتمع إليه المبيضة(٤) والترك)(٥) .

بيد أن انضمام شيعة المبيضة إلى حركة المقنع يرجع إلى نقمتهم على العباسيين وكراهيتهم للمسلمين ، ولذا هربوا منهم إلى هذه المناطق النائية بحيث يكونوا بعيدين عن مناطق نفوذهم ، كما انضم إليه الترك الكفار التى انتشرت بينهم المجوسية والمنانية انتشاراً واسعاً ، وإنما انضموا إليه إبقاء على دينهم وقوميتهم ، أما المقنع نفسه فإنه كاتب ملك الصين وخاقان ملك

---

(١) النرشخي ـ تاريخ بخارى ص٩٦ ، وفامبري ـ تاريخ بخارى ص٨١ .

(٢) عبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ١٦٨ .

(٣) الهياطلة ـ وهم أتراك ، وقيل قوم من أهل فارس كانوا يلوطون فنفاهم فيروز إلى هراة فصاروا مع الأتراك فكانوا معاونين لأهل توهستان فهزمهم وفتح توهستان عنوة (البلاذري ـ فتوح البلدان ص٣٩٤) .

(٤) المبيضة ـ هم احدى فرق الباطنية الغلاة التي تسعى إلى إحياء تعاليم مزدك .

(٥) آثار البلاد وأخبار العباد ص٢١١ .

الترك فى التركستان ، أى ناحية بلاد الترك فى وسط آسيا وناشدهم الوقوف بجواره[١] .

آوى المقنع إلى حصن مكين من حصون كش المنيعة فاعتصم به ، وكان يقع هذا الحصن على جبل بسام وكان فى غاية الاستحكام وبه ماء جار وأشجار وزروع وحصن آخر أقوى من هذا أمر هو بتعميره حتى يتمكن من نشر دعوته إذا صحت هذه التسمية[٢] .

وفى هذا المخبأ الحصين أقام ذلك النبى المزعوم فترة طويلة من الزمن وهناك بدأ فى إظهار الكهانة والسحر وكان بارعاً فيهما وطلب منه أحد أتباعه أن يأتيهم بمعجزة تدل على صدق نبوءته فأخرج لهم من أحد الآبار جسماً مضيئاً على هيئة القمر[٣] .

وقيل أنه أظهر قمراً يطلع ويراه الناس على مسيرة شهر ثم يأفل ، وفى ذلك يقول أبى العلاء المعرى :

أفق إنما البدر المقنع ضلال وعنى مثل بدر المقنع[٤]

وقد تمكن المقنع من تدعيم مكانته بين أتباعه بتنفيذه بعض الأشياء التى استعصى على الناس فهم أسرارها نظراً لما خيم عليها من غموض ، وأوهم المقنع أتباعه بأن هذه الأعمال من ضروب المعجزات ، وهى فى الحقيقة نوع من السحر والشعوذة .

ويشير نظام الملك فى كتابه إلى هذه السفاهات التى كان يأتيها هذا الأفاك الأثيم بقوله (وقد اصطنع المروزى هذا فيما وراء النهر طلسماً يخرج به للناس من وراء الجبل شيئاً على هيئة القمر يراه أهل تلك الناحية فى موعد بزوغ القمر)[٥] .

كما كان للمقنع ثلاثة أشياء مشهورة بين الناس مكرمة بين أتباعه هى :

---

(١) ابن خلدون ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ٣/ ٢٠٦ ، وعبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ١٧٣ .

(٢) النرشخي ـ تاريخ نجاري ص٩٥ ، وفامبري ـ تاريخ نجاري ص٨٣ .

(٣) فامبري ـ تاريخ نجاري ص٨٣ .

(٤) حسن إبراهيم حسن ـ تاريخ الإسلام السياسي ٢/ ٩٠ .

(٥) سياسة نامة ص٢٨٥ .

(أ) قناع من ذهب أو من حرير أخضر كما تقول بعض الروايات كان يلبسه دائماً حتى يعفى أتباعه من ضوء وجهه الذى يغشى العيون كما زعم أو حتى يحجب عنهم دمامة خلقته وقبح منظره كما يؤكد أعداؤه .

(ب) كما كان لديه قمر كاذب يخرجه ليلة بعد ليلة فى نخشب من بئر أو من وراء جبل كما فى الروايات[١] ، ومن ثم دعاه الفرس (ماه سازند) .

(ج) اختفائه الأخير هو وأتباعه عندما انتحر أراد أن يؤكد لأتباعه اختفاؤه ورجعته مرة ثانية والذى كان الغرض منه إهلاكه وإهلاك أتباعه معه .

وتمكن هذا الأفاك الأثيم من خلال تعاليمه التى تدعو إلى الإباحية والتحلل من كل شىء إلا من العهارة والدنس والاستغواء والضلال أن يضم إلى صفوفه الكثير من العامة والغوغاء وكان أغلبهم من الضالين المضلين .. يؤكد هذا قول ابن الأثير (وتابعه خلق من ضلال الناس)[٢] ، بالإضافة إلى جماعة المبيضة والترك الكفار الذين كانوا يقومون حول بحر قزوين كما أشرنا آنفاً .

وانتشرت حركة المقنع انتشاراً واسعاً وبخاصة فى منطقة كش وفى قرية يقال لها (سونج) ، كما أيدته أغلب قرى الصغد وقرى بخارى واعتصم هو بقلعة حصينة بكش يصفها البغدادى بقوله (وكان له حصن عظيم وثيق بناحية كش ونخشب يُقال له سيام وكان عرض جدار سورها أكثر من مائة آجرة ودونها خندق كبير)[٣] ، وعاش فى مخبئه هذا طوال الحرب الدينية التى استغرقت أربعة عشر عاماً من حياة المسلمين[٤] .

وخلال هذه الفترة الطويلة قامت عدة حروب طاحنة وحملات شرسة بين جنود الحق ودعاة الإسلام وهم قوات الخليفة المهدى الذين بعث بهم لقمع هذه الفتنة وردها وبين الفئة الضالة المضلة الفاسدة المفسدة المتمثلة فى الشيطان اللئيم المقنع وأتباعه ، وبدأت هذه الحروب ضعيفة هزيلة ثم

---

(١) نظام الملك ـ سياس نامة ص٢٨٥ .

(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٥/ ١٠١ .

(٣) البغدادي ـ الفرق بين الفرق ص٥٦ .

(٤) فامبري ـ تاريخ نجاري ص٨٣ .

راحت تأخذ طريقها إلى التصاعد بسبب ما ارتكبه جنود المقنع من فساد ودمار في قرى المسلمين وما قلعوا به من سلب ونهب لأموالهم حتى اجتمع للمقنع أموالاً كثيرة ونعماً لا تُحصى .

ويذكر النرشخي : أن المقنع دعا الأتراك وأباح لهم دماء وأموال المسلمين وجاء من التركستان عساكر كثيرة طمعاً فى النهب ونهبوا الولايات وكانوا يأسرون نساء وأبناء المسلمين ويقتلونهم(١) .

أخذت الحملات العدائية التابعة للمقنع تتوالى على أبناء المسلمين يوماً بعد يوم حتى ظهر فى بخارى جماعة المبيضة الذين كانوا من مبايعى المقنع وذهبوا إلى قرية يُقال لها (نمجكت) ودخلوا المسجد ليلاً وقتلوا المؤذن مع خمسة عشر شخصاً وقضوا على أهل القرية جميعاً ، وكان ذلك فى سنة تسع وخمسين ومائة من الهجرة(٢) .

وكان هذا الاعتداء هو الشرارة التى فجرت الصدام العسكرى والقتال الفعلى بين المقنع وجيوش المسلمين ، والعجيب أن الذى كان يرأس هذه الحملة العدائية التى خربت ديار المسلمين وسلبت ونهبت أموالهم رجل عربى من بخارى يُقال له حكيم(٣) أو الحكيم ومعه ثلاثة من قادة الجيش هم حشرى وبافى وكردك ، وكانوا من غجدان(٤) .

وقد أثار صنيعهم هذا الفزع والرعب بين المسلمين فى كل تركستان هنالك فنهض المسلمون من أهالى بخارى وذهبوا إلى أمير بخارى وهو حسين بن معاذ وطلبوا منه النهوض لرد هذا الاعتداء ومحاربة المبيضة ومن معهم(٥) .

من هنا انطلق أمير بخارى لنجدة هؤلاء المنكوبين ودفع هذا الخطر عنهم

---

(١) النرشخي ـ تاريخ بخاري ص٩٧ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) في هذا دلالة واضحة على أن حروب المسلمين التي خاضوها خلال تاريخهم الطويل كانت حروب دفاعية لرد الظلم ومنع الطغيان وإزالة العقبات من طريق الدعوة الإسلامية ولم تكن أبداً اعتدائية كما زعم بعض المغرضين وأن المعاملة الحسنة كان طابع تعاملهم في كل الحالات حتى في أشد الحالات حرجاً .

(٤) غجدان ـ قرية من قرى نسف مما وراء النهر ، وقيل من قرى بخاري (ياقوت ٤/ ١٨٧) .

(٥) النرشخي ـ تاريخ بخاري ص٩٥ .

فسار بكل قواته التى كانت تحت امرته يتقدمهم أهالى نجارى الذين أغاظهم ما حدث فانطلقوا لدفع هذا الخطر الداهم وعلى رأسهم القاضى (عامر بن عمران) فقصدوا جميعاً قرية (نرشخ) التى جمع فيها المقنع أهم قواته[١] وعسكروا حيالهم وبادر القاضى ومعه المسلمون من أهالى نجارى إلى المسالمة والموادعة قبل إراقة الدماء فقال جدير بنا أن ندعوهم إلى دين الحق قبل أن نحاربهم فنقرع الحجة بالحجة ، فقد تصنع الكلمة ما يعجز السيف عنه فدخل القاضى القرية فى شهر رجب عام تسع وخمسين ومائة ودعاهم إلى الحق فقالوا : نحن لا نفقه ما تقولون وازدادوا كل يوم كفراً ولم يقبلوا نصحاً فكان أشبه بمن قال الله فيهم : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[٢] .

وبهذا فشلت مسعاه ومن ثم نشب القتال وكان أول من حمل عليهم رجل من العرب اسمه نعيم بن سهل فأخذ يضرب يميناً وشمالاً حتى قتل منهم أعداداً كبيرة ولكنه قتل آخر الأمر وانتهت المعركة بهزيمة المبيضة وقتل منهم سبعمائة رجل وفر الآخرون[٣] .

وأمام قوة المسلمين التى لا تعرف إلا الحق زهق باطل الشيعة المبيضة وعادوا إلى الوراء فما أن أصبح الصباح حتى بعثوا برسول منهم يطلب الأمان والصلح وقالوا أسلمنا فصالحهم وكتبوا كتاب الصلح واشترط المسلمون عليهم أن لا يقطعوا الطريق وأن لا يقتلوا المسلمين وأن ينصرفوا إلى قراهم ويطيعوا أميرهم وأخذوا عليهم عهد الله ورسوله ثم وقع جميع أعيان المدينة على كتاب الصلح .

لم يمض على الصلح إلا مقدار ما رجع المسلمون إلى قراهم فى نجارى حتى عاد المبيضة أتباع المقنع إلى السعى فى الأرض فساداً يأتيان الفجور وعظائم الأمور فقطعوا الطريق وجدوا فى قتل وتشريد المسلمين وخربوا

---

(١) المرجع السابق .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٧٩ .

(٣) النرشخي ـ تاريخ بخارى ص ٩٧ .

المزارع الخضراء وعمدوا إلى نقل المزروعات الخضراء النامية إلى حصن نرشخ واشتد الأمر على المسلمين فقاموا بعدة حملات ضدهم لتأديبهم .. فحاربهم أبو النعمان والجنيد وليث بن نصر عدة مرات ، ولكن هذه الحملات الإسلامية باءت كلها بالفشل ، أما صمود أتباع المقنعية التى كانت تقاتل قتالاً مستميتاً بل أن المقنعية كروا على الجيوش الإسلامية فقتلوا منهم حسان بن تميم بن نصر بن سيار وكان من خيار القادة ومحمد بن نصر وغيرهما(١) .

ويؤكد البغدادى هذا التقهقر الذى حدث للمسلمين بقوله « وهزموا عساكر كثيرة من عساكر المسلمين فى أيام المهدى بن المنصور »(٢) .

لم تثمر إذن الضربات التى كالها المسلمون للمقنعية خلال تلك الفترة ولم تؤدى إلى نتيجة محمودة لصالح المسلمين مما تسبب فى مضايقة الخليفة الذى لم يضع فى حسابه أن هذه الحركة الهدامة ستبلغ هذا الحد الكبير من القوة والإنتشار ، وأحس هنالك بخطورة الموقف وخشى على الإسلام الفساد من جراء هذه الفتنة كما كان يخشى انتشار دعوة المقنع وذيوعها فى أرجاء الدولة الإسلامية ، فقد يتسبب ذلك فى انتقاص الإسلام من أطرافه فضلاً عما تحدثه عقائد المقنعية من زعزعة فى نفوس بعض المسلمين .

فأسرع المهدى بإرسال وزيره (جبرائيل بن يحيى) لحرب المقنع لدفع هذه الفتنة وقمعها ، فاصطحب جبرائيل معه أخاه يزيد إلى نجارى وهناك قاتلوا الشيعة المبيضة أتباع المقنع وأنصاره واستمر القتال أربعة أشهر كاملة فى مدينة بومجكت على حد قول المؤرخون(٣) .

وتمخضت المعركة عن هزيمة ساحقة لحقت بالمبيضة فقتل سبعمائة منهم ، بينما فرَّ الباقون ولحقوا بالمقنع .

ويطالعنا النرشخى على تفاصيل هذه الوقعة فيقول أن والى خراسان ذهب إلى جبرائيل وطلب منه أن يعينه على حرب المبيضة حتى إذا ما فرغ من هذا الأمر ذهب معه إلى حرب المقنع فأجابه جبرائيل وأخذ العسكر

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل ٥/ ١٠١ ، وابن خلدون ـ العبر ٣/ ٢٠٧ .

(٢) الفرق بين الفرق ص١٥٦ .

(٣) ابن الأثير ـ الكامل ٥/ ١٠١ ، وابن خلدون ـ العبر ٣/ ٢٠٧ .

وذهب حتى قرية نرشخ وأمر بحفر خندق حول القرية وعسكروا فى الخندق وأمر العسكر باليقظة حتى لا تخرج المبيضة وتغير عليهم ليلاً ، وحدث ما قال فخرجوا (أى المبيضة) أول ليلة وأغاروا عليهم وأحدثوا كثيراً من التخريب ، فلما رأى حسين بن معاذ أمير نجارى الأمر كذلك بالغ فى ملاطفة جبرائيل وطلب إليه أن يبق ببخارى ولا يذهب إلى كش حتى يتم هذا الأمر فاشتبك جبرائيل فى الحرب وتحاربوا أربعة شهور متصلة صباح مساء ، ولم يكن يوم إلا وكان الظفر فيه للمبيضة وحار المسلمون وتلمسوا الحيلة ، فقال مالك بن فارم أنا أدبركم فأمر بحفر أخدود من المعسكر حتى جدار الحصن وأرسل الرجال هنالك بالسلاح وأمر بتقوية كل ما يحفرون بالخشب والقصب والتراب وتغطيته حتى وصلوا إلى أسفل جدار الحصن ثم أشعلوا فيه النار لتحرق الأعمدة فينهار الحصن فخرج الناس فارين من داخل الحصن فوضع المسلمون فيهم السيوف(١) .

لم تتوقف إمدادات الخليفة إلى القوات التى بعث بها إلى محاربة المقنع وإنما اتجه إلى تدعيم القوى وتكثيف الجهود لكى يتمكن من القضاء على المقنع نهائياً ، فأعد جيشاً كبيراً وأسند قيادته إلى معاذ بن مسلم بعدما تقاعس أبو عون عن القتال(٢) .

سار معاذ بن مسلم عام مائة وإحدى وستين يقود جيشاً قوامه سبعين ألف مقاتل وأتاه عقبة بن مسلم من زم(٣) فاجتمع به فى الطواويس وكان على مقدمته سعيد بن عمر الحرشى واستطاع معاذ بن مسلم بما معه من القواد والعساكر أن يكيل للمقنعية ضربات قوية أنهكت قواهم وشتت جمعهم وأوقعوا بهم الهزيمة ففروا هاربين ولاذوا بحصن سيام أو بسام(٤) .

ويذكر النرشخى أن معاذ بن مسلم عندما وصل إلى نجارى جمع الدهاقين من أهل نجارى ورجال الحرب فاجتمع خمسمائة وسبعون ألف رجل فأمر

---

(١) النرشخي ـ تاريخ نجاري ص٩٥ .

(٢) ابن الأثير ـ الكامل ٥/ ١١٣ .

(٣) زم ـ بفتح أوله وتشديد ثانيه ـ بليدة على طريق جيحون من ترمذ وآمل ، نسب إليها مجموعة من العلماء (ياقوت ـ معجم البلدان ٣/ ١٥١) .

(٤) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٥/ ١١٣ .

معاذ بن مسلم بإعداد آلات حرب كثيرة وأعد ثلاثة آلاف عامل بالقواديم والمساحى والجرار والفؤوس والضاع اللازمين فى الجيش من كل جنس وضع المنجنيق(١) والعرادات(٢) ويمم وجهه شطر السغد أو الصغد بأحسن تعبئة(٣) .

كما انضم إليه أمير هراة بعشرة آلاف من الضأن من هراة وكان يحملها معه ، فقال له معاذ ابن مسلم الترك هنا خصومنا وهم على مقربة منا وهم شديدوا الرغبة فى الخراف فاترك هذه الخراف ببخارى أو بعها لى لأقسمها بين العسكر ، فلم يجبه إلى طلبه فجاء قوم من الترك فأغاروا عليهم واستاقوا الخراف جميعاً إلى مكان يقع بين أربنجن(٤) وزرمان(٥) ، فذهب العسكر فى إثرهم فقتل بعضهم وعاد بعضهم منهزمين وتابع معاذ السير إلى السغد وسمرقند ، وخلال هذه المدة خاض معاذ حروباً كثيرة ومتعددة مع الترك والمبيضة استمرت عامين ظلت فيها الحرب سجالاً بين الفريقين بعدها طلب إعفاءه(٦) .

وتفصح المصادر عن الأسباب التى أدت بمعاذ بن مسلم إلى طلبه الإعفاء من أمر القيادة فيصرح ابن الأثير أنه جاء على أثر ما جرى بينه وبين سعيد الحرشى من نزاع فكتب الحرشى إلى المهدى فى معاذ ويضمن له الكفاية إن أفرده بحرب المقنع فأجابه المهدى إلى ذلك(٧) .

أما ابن خلدون فيرجع الأمر إلى السعاية والوشاية التى كتب بها الحرشى إلى المهدى فى معاذ بن مسلم فيقول : (وفسد ما بينه وبين الحرشى فكتب

---

(١) المنجنيق هو آلة قديمة من آلات الحرب وحصار المدن كانت ترمي بها حجارة ثقيلة على الأسوار فتهدمها (المعجم الوجيز ص٥٧٣) .

(٢) العرادات مفرد عردة وهى الصلب الشديد وهى عبارة عن منجنيق صغير من آلات الحرب القديمة (المعجم الوجيز ص٤١٢) .

(٣) النرشخي ـ تاريخ بخاري ص١٠٠ .

(٤) اربنجن ـ بالفتح ثم السكون ـ بليدة من نواحي الصغد ، من أعمال سمرقند . (ياقوت ـ معجم البلدان ١/ ١٤١) .

(٥) زرمان ـ احدى قرى الصغد بينها وبين سمرقند سبع فراسخ (ياقوت ٣/ ١٣٨) .

(٦) النرشخي ـ تاريخ بخاري ص١٠٠ .

(٧) الكامل في التاريخ ٥/ ١١٣ .

الحرشي إلى المهدى بالسعاية فى معاذ ويضمن له الكفاية أن أفرد بالحرب فأجابه المهدى إلى ذلك(١) .

ويرى بعض المستشرقين أن المقنع لما تحصن فى حصنه ضرب القائد العربى حصاراً حول الحصن وظل الحصار حتى حلول الشتاء وكانوا آنذاك فى منطقة (سبز) المعروفة بشدة البرد والصقيع مما اضطر القائد معاذ إلى السير إلى بلخ ، وأدى طول الحصار إلى قلق المهدى ونفذ صبره إزاء هذه المسألة شديدة الخطورة فعزله من منصبه(٢) .

وفى رأينا أن تنحية معاذ بن مسلم عن قيادة الجيش كان لمصلحة رآها المهدى ضرورة ملحة للتغلب على هذه الفتنة القائمة وهى إسناد القيادة إلى قائد يضمن له القضاء على هذه الفتنة والتغلب عليها في فترة وجيزة وذلك قبل أن يتطاير شررها ويعظم أمرها ويصبح من الصعب التغلب عليها ، فلما تعهد الحرشى للخليفة المهدى بأن يكفيه مهمة القضاء على هذا الثائر وقطع دابر المقنعية سارع بالموافقة له .

كان الحرشى قائد محنك لخوضه الكثير من المعارك الحربية كما كان على علم بمجريات الحوادث التى تقع فى بلاد ما وراء النهر ولاسيما فيما يتعلق بالمقنعية هناك ، كما كان ذا همة ونشاط فاق بهما من سبقه .

بدأ القائد ببناء الدور والسكنات لجند العرب هناك لكى تتمكن من تواصل الحصار حول أسوار الحصن المنيع الذى يختبىء المقنع وأتباعه بداخله ، كما ضم إليه قواداً من العجم(٣) وظل يحارب ويقاتل أتباع المقنعية من مدينة إلى مدينة ومن قلعة إلى قلعة حتى ألجأه إلى قلعة اسمها سنام أو بسام ، وفيها طال الحصار ليمتد من شهور إلى أعوام بسبب تحصن المكان ، وماأعده المقنع من استعدادات تضمن له الاستمرار فى تحمل الحصار(٤) .

فيذكر الطبرى أن المقنع قد جمع بقلعته الطعام بكميات وفيرة حتى يمكنه أن يتحمل حصاراً طويلاً قد يضرب حول القلعة(٥) .

---

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ٣/ ٢٠٧ .
(٢) أرمينوس فامبري ـ تاريخ بخاري ص٨٨ .
(٣) عبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ١٧٣ .
(٤) النرشخي ـ تاريخ بخاري ص١٠٣ .
(٥) تاريخ الأمم والملوك ٨/ ١٣٥ .

ولما اشتد الحصار وطالت مدته ضجر أصحاب المقنع وطلبوا الأمان وكان كيزم أحد أخوة المقنع هو أول من استسلم له ومعه ثلاثون ألفاً من الرجال ، وأدى تضييق الحصار على أتباع المقنع مع ما كانوا يعانونه من الجوع الشديد إلى أن استسلموا جميعاً دون قيد أو شرط مع جمع غفير من أهل كش الذين كانوا يرون فى المسلمين ألد أعداء لهم(١) .

شعر المقنع بعد هذا الاستسلام أن نهايته قد دنت وأن الحياة من حوله أظلمت بعد أن فتح قائده الخاص باب الحصن وخرج طائعاً واعتنق الإسلام فاستولى المسلمون على القلعة التى بها الحصن الداخلى للمقنع(٢) .

رابعاً. نهاية المقنعية :

وتتعدد الروايات وتكثر الأقوال فى نهايته فيروى أنه لما أيقن المقنع بالهلاك جمع نساءه وأهله وسقاهم السم فأتى عليهم وأمر أن يحرق هو بالنار لئلا يقدر على جثته(٣) .

وقيل بل أحرق كل مافى القلعة من دواب وثياب ومتاع ثم قال لأهله وأولاده من أحب أن يرتفع معى إلى السماء فليلق بنفسه معى فى هذه النار وألقى بنفسه مع أهله ونسائه وخاصته فاحترقوا جميعاً(٤) .

ويذكر البغدادى أنه أحرق نفسه فى تنور فى حصنه كان قد أعده لذلك ، فأذاب فيه النحاس مع القطران حتى ذاب فيه(٥) .

ويروى لنا النرشخى تفاصيل قتل المقنع فيما ذكره أن المقنع أبان أيامه الأخيرة هذه جمع زوجاته حول الطعام بعد أن كان قد انصرف عنه أخلص خلصائه وسدت طرق الفرار فى وجهه هنالك دعا كل النسوة إلى شراب أعده من نبيذ خلطه بالسم فشربن منه جميعاً إلا واحدة منهن تُدعى (بانوكه)(٦) كانت قد عرفت بسر المسألة فسكبت الشراب فى عبها وتظاهرت

---

(١) فامبري ـ تاريخ نجاري ص٨٨ ، وابن الأثير ـ الكامل ٥/ ١١٢ .

(٢) النرشخي ـ تاريخ نجاري ص١٠٣ .

(٣) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٥/ ١١٢ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) الفرق بين الفرق ص١٥٦ .

(٦) هذا الاسم ذكره الطبري وثقات المؤرخين وهو ليس علماً على كل حال بل هو مشتق من الكلمة الفارسية (بانو) بمعنى سيدة .

بالموت فكانت من بعد ذلك هى الشاهد الوحيد الذى استطاع أن يروى تفاصيل اللحظات الأخيرة لهذا النبى المزعوم(١) .

فيروى أحد أهالى كش نقلاً عن هذه المرأة أن المقنع بعد أن ماتت كل زوجاته قطع رأس غلامه وكان هو الوحيد الذى مازال حياً من الذكور ثم اندفع إلى فرن مستعر بالنار كان قد أوقد ناره منذ ثلاثة أيام وخلع ثيابه وألقى بنفسه فيه ، فتقول بانوكه هذه : أنها راقبت الفرن مدة طويلة ولكنه لم يخرج منه وإنما رأت الدخان يتصاعد من هذا التنور فذهبت إلى ذلك التنور فلم تر له أى أثر(٢) .

ويُقال أن المقنع قبل أن يقدم على هلك نفسه وأطلع نساءه على ماكان قد اعتزم عليه من قبل ، وقال لهنَّ أنه سوف يقبل على ارتكاب ذلك آخر لحظة فيجعل بذلك وزرهنَّ أمام الله على الذين تخلوا عنه وأنه سوف تكون له الغلبة آخر الأمر وذلك بعون من الملائكة الذين سيأتى بهم معه على حسب زعمه .

وهكذا كانت نهاية المقنع اللعين بعدما أهرق فى عهده دم غزير وتوجهت إليه من الجوانب والأطراف جيوش كثيرة واتصلت بينه وبين أهل الإسلام حروب عديدة وتسلط عدة سنين تسلطاً لا حد له ، ولو أردنا ذكر أمره السخيف لطالت بنا القصة فإن أخبار أى كلب من هذه الكلاب النابحة تؤلف كتاباً كبيراً(٣) .

وأخيراً تمكن سعيد الحرشى قائد المهدى من قطع رأسه وبعث بها إلى المهدى بحلب ودخل المسلمون القلعة واستولوا على ما بها من أموال ثم تركوها خاوية على عروشها ، وبهذا تخلصت حدود الإسلام الشرقية فى بلاد ما وراء النهر من محنة شديدة وفتنة عظيمة دامت أربع عشرة سنة من أيام المنصور إلى آخر أيام المهدى .

خامساً ـ الأفكار والمعتقدات عند المقنعية :

لا يمكن أن نتصور حركة المقنعية وما نادى به من أفكار ومعتقدات إلا

---

(١) فامبري ـ تاريخ نجاري ص٨٨ .

(٢) النرشخي ـ تاريخ نجاري ص١٠٣ .

(٣) نظام الملك ـ سياسة نامة ص٢٨٥ .

معاول هدم وتدمير لكل القيم الأخلاقية والمبادىء السامية التى جاء بها الإسلام ، فهى تمثل الاتجاه الضال الذى يكاد يعصف بالإسلام والمسلمين لولا عناية الله عز وجل ، وسوف يتضح لنا ذلك من خلال عرض هذه الأفكار والمعتقدات للمقنعية .

كان المقنع فى مبدأ أمره ينتحل مذهب الرازمية أتباع رزام الذين ساقوا الإمامة إلى محمد بن الحنفية ثم إلى ابنه أبى هاشم ثم إلى علىّ بن عبد الله بن عباس ثم إلى ابنه محمد ثم إلى ابنه إبراهيم الإمام ثم إلى أخيه أبى العباس السفاح ثم انتقلت إلى أبى مسلم الخراسانى ، وقد ظهروا بخراسان واتخذوا مرو مركزاً لنشر دعوتهم(١) .

وقد أشار البغدادى إلى اعتناق المقنع لمذهب الرزامية بقوله « وكان على دين الرزامية بمرو ثم ادعى لنفسه الألوهية واحتجب عن الناس »(٢) .

كما نادى المقنع بعقائد الفرس القديمة والعمل على إحيائها ، فهو يلتقى فى أهدافه وأفكاره مع الخرّمية من حيث كل منهما يعمل على هدم الدين الإسلامى وإضعاف الدولة العباسية وإحياء القومية الفارسية كما كانت قبل الإسلام .

أتت حركة المقنع بدعاوى هدامة لمبادىء الإسلام فأباح لأتباعه المحرمات وحرم عليهم القول بالتحريم وأسقط عنهم التكاليف الإسلامية كالصلاة والصيام والحج والزكاة وسائر العبادات وزعم لأتباعه كفراً فقال لهم أنه هو الإله وأنه كان قد تصور مرة فى صورة آدم ثم تصور فى وقت آخر فى صورة نوح وفى وقت آخر بصورة إبراهيم ثم تردد فى صورة الأنبياء إلى محمد ثم تصور بعده فى صورة علىّ ولينتقل بعد ذلك فى صورة أولاده ثم فى صورة أبى مسلم ثم زعم أنه فى زمانه الذى كان قد تصور بصورة هشام بن حكيم وقال : إنى أتنقل فى الصور لأن عبادى لا يطيقون رؤيتى فى صورتى التى أنا عليها ومن رآنى احترق بنورى(٣) .

---

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل ١/ ١٥٤ ، وحسن إبراهيم حسن ـ تاريخ الإسلام السياسي ٢/ ٩٠ وعبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ١٦٩ .

(٢) الفرق بين الفرق ص١٥٦ .

(٣) البغدادي ـ الفرق بين الفرق ص١٥٦ .

كما أباح المقنع لأتباعه تعاليم مزدك التى تدعو إلى الإباحية والفوضى الاجتماعية وأعطى المقنع الحق لأتباعه قتل كل من يخالفهم فى مبادئه أو دعوته وشرع لهم جميع ماجاء به مزدك من تعاليم(١) .

كما ومن مبادئه أنه كان يقول بالتناسخ وأن الله خلق آدم فتحول فى صورته ثم فى صورة نوح ثم إلى أبى مسلم ثم إلى هاشم وهو المقنع(٢) .

وأتى المقنع أمراً إداً عندما ادعى لنفسه الألوهية(٣) ، وقيل أنه ادعى النبوة ورماه المسلمون بالشيوعية فى المال والنساء ، كما زعم أن الدين معرفته(٤) .

شرع المقنع فى نشر مبادئه الهدامة وأفكاره المخربة بين أتباعه ومناصريه ، ولما كان على علم بمعارف الأسرار (السحر) وتعلم الشعبذة وعلم النيرنجات والطلسمات وحذقها فقد عمد إلى اسباغ سمة الغموض والقدسية على شخصيته بلبسه القناع وعلى أعماله بإتيانه بعض الأفعال الغامض بطرق سحرية حتى ليظنها العامة أنها ضرب من الخوارق والمعجزات .

ومن ذلك ما رواه محمد بن جعفر أن خمسين ألفاً من عسكر المقنع من أهل ما وراء النهر من الترك وغيرهم اجتمعوا بباب حصن المقنع وسجدوا وتضرعوا وطلبوا منه المشاهدة فلم يتلقوا جواباً فألحوا وقالوا لن نعود حتى نرى طلعة مولانا ، وكان له غلام اسمه (حاجب) فقال له المقنع قل لعبادى إن موسى طلب رؤيتى فلم أتجل إن لم تكن له طاقة ولا تحمل وكل من يرانى لا يطيق ويموت فى الحال فزادوا فى الضراعة والرجاء وقالوا نريد الرؤية فإنا متنا فلا ضير فوعدهم قائلاً تعالوا فى يوم كذا وحدد لهم يوماً معلوماً لأتجلى لكم ، ثم أمر النساء اللواتى كن معه فى الحصن وكن مائة امرأة من بنات دهاقين السغد وكش ونخشب يحتفظ بهن معه ، وكانت عادته هذا الملعون أنه حيثما وجدت امرأة جميلة ورآها أخذها واحتفظ بها معه فلم يكن معه فى الحصن غير هاتيك النساء والغلام الخاص به ، أما ماكانوا يحتاجونه من مأكولات ومشروبات وأسباب المعيشة فكان باب الحصن

---

(١) البيروني ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية ص٢١١ .

(٢) ابن خلدون ـ العبر ٣/ ٢٠٧ ، والطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٨/ ١٣٥ .

(٣) ابن الأثير ـ الكامل ٥/ ١٠١ .

(٤) الشهرستاني ـ الملل والنحل ١/ ١٥٤ . وعبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ١٦٩ .

يفتح كل يوم مرة بحيث يكون فى الخارج رجل يقوم بإحضار ما يلزم الحصن من هذه الأشياء كل يوم وبصفة منتظمة فيفتح الغلام باب الحصن فيجد كل شيء قد أعد له فيأخذه ويدخله الحصن ثم يغلق باب الحصن ثانياً إلى اليوم التالى ولم يتمكن أحد من مشاهدة وجهه القبيح لأنه كان يضع على وجهه قناعاً أخضراً فأمر هاتيك النسوة بأن تمسك كل منهن مرآة وتصعد إلى سطح الحصن ويجعل كل مراة مقابل الأخرى حين يقع نور الشمس على الأرض ويمسكن جميع المرايا ويجعلنها متقابلة دون تفاوت ، وكان الخلق قد تجمعوا لرؤيته ، فلما سطعت الشمس على تلك المرايا امتلأ الفضاء نوراً بانعكاسهم ونادى المقنع على غلامه وقال له : قل لعبادى بأن الله يتجلى بوجهه فانظروا فنظروا فرأوا كل الدنيا ممتلئة بالنور فخافوا وسجدوا جميعاً مرة واحدة وقالوا : ربنا تكفى هذه القدرة والعظمة التى رأيناها ، وإذا نظرنا أكثر من هذا تنفطر أنظارنا وظلوا هكذا ساجدين حتى أمر المقنع ذلك الغلام قائلاً : قل لأمتى ارفعوا رؤوسكم من السجود فإن إلهكم راضى عنكم وغفر خطاياكم ، فرفع القوم رؤوسهم من السجود بخوف وفزع فقال لهم : أبحت لكم جميع الولايات ومن لا يتبعنى فدمه وماله وأولاده حلال لكم فانطلقوا من عنده للسلب والنهب والفساد[١] .

ولسنا نجد تعليقاً على ما ذكر غير القول بأنها كانت سخافات وضلال سعى المقنع إلى نشرها ليضل الناس بغير علم فكفروا بكفره وضلوا بضلاله وإن كانت هذه المبادىء التى نادى بها إذا صح التعبير جاءت ملائمة لنشأته وبيئته التى نبت فيها وهى بيئة فارسية الأصل مجوسية الديانة .

لقد قامت مبادىء المقنع على كراهية الإسلام والمسلمين وإضمار الحقد والشنآن لهم ، حتى اعتبر أن قتل المسلم هو تقرب إلى الله[٢] ، بالإضافة إلى إستباحة النساء دون قيد أو شرط[٣] .

ومما يؤسف له بحق أن يكتنف الغموض تعاليم المقنع برغم أن مذهبه ظل قائماً من بعده لعدة قرون بالإضافة إلى المدة التى عاشها منذ جهر بمذهبه الباطل وحتى قتله والتى قدرها المؤرخون بأربعة عشر عاماً[٤] .

---

(١) النرشخي ـ تاريخ بخاري ص١٠٢ .
(٢) نظام الملك ـ سياسة نامة ص٢٨٦ .
(٣) النرشخي ـ تاريخ بخاري ص١٠٢ .
(٤) المصدر السابق .

ونظراً للغموض الذى كان يخيم على مبادئه وتعاليمه فيرجح بعض المستشرقين تأثر المقنع بالآراء الدينية الهندية القديمة بل وبالفارسية كذلك[١] وهو ترجيح فى محله إن لم يكن مؤكداً .

ويرى نظام الملك أن حركة المقنعية هى امتداد للباطنية وفرع من فروعها ، إذ أن الباطنية كانت تلقب بألقاب جديدة ومتنوعة على حسب المكان ، فهم يسمون فى حلب ومصر (بالإسماعيلية) وفى بلاد ما وراء النهر (بالقرامطة) وفى الكوفة (بالمباركية) وفى البصرة (بالراوندية) وفى جرجان (بالمحمرة) وفى الشام (بالمبيضة) ، وغايتهم جميعاً هدم الإسلام والنيل منه[٢] .

على أن موت المقنع لم يضع حداً لتعاليمه التى اعتنقها نفر من بلاد ما وراء النهر أصبحوا يعرفون باسم (المقنعية المبيضة) وقد زعموا أن المقنع كان إلهاً وأنه تصور فى صورة خاصة .

وله أتباع فى بلاد إيلاق ولهم فى كل قرية من قراهم مسجد يصلون فيه وهم يستحلون الميتة والخنزير وكل واحد منهم يستمتع بامرأة غيره ، وإن ظفروا بمسلم لم يره مؤذن مسجدهم قتلوه وأخفوا جثته[٣] .

هذه هى بعض الأفكار والمعتقدات الدينية التى جاءت بها المقنعية بموجب اعتقادها فى الإباحية والفوضى والاسترسال وراء الشهوات وفى الإيمان بتناسخ الأرواح وهى أفكار تتصادم مع العقل بكل المقاييس لأنها مجموعة أوهام باطلة وخرافات كاذبة .

(١) فامبري ـ تاريخ نجاري ص٨٩ .

(٢) سياسة نامة ص٢٨٦ .

(٣) الفرق بين الفرق ص١٥٦ .